العددِ 21A ايار 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.21A May 2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في حاشية المقدسي (1028هـ) على الحواشي التفسيرية (الكشاف والبيضاوي وابي السعود)

Grammatical Analysis of Qur'anic Variant Readings in Al-Maqdisi's (d. 1028 AH / 1619 CE) Marginal Notes on the Tafsir Works of Al-Kashshaf, Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil and the Commentary of

مدرس دكتور
إيناس يونس عبد
الجامعة العراقية/ كلية الآداب
.Assistant Dr
Inas Younis Abd
Inasalameen1@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في حاشية الإمام محمد رضي المقدسي (ت 1028هـ) على الحواشي التفسيرية لكلٍّ من الزمخشري والبيضاوي وأبي السعود، والكشف عن منهجه في ربط القراءات بالبنية النحوية والدلالة التفسيرية. وقد انطلقت الدراسة من أهمية القراءات القرآنية بوصفها مظهراً من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وما تمثله من تنوع لغوي يثري المعنى ويوسّع آفاق الدلالة. كما سعت إلى بيان دور النحو العربي في توجيه هذه القراءات وتحليلها وفق أصول الصناعة النحوية وآراء المدرستين البصرية والكوفية.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء الشواهد القرآنية الواردة في الحاشية، وتحليل الأوجه الإعرابية والصرفية المتعلقة بأقسام الكلمة الثلاثة: الأسماء، والأفعال، والحروف، مع بيان أثرها في توجيه المعنى التفسيري وترجيح الدلالات المختلفة. وقد أظهرت الدراسة أن الإمام المقدسي لم يقتصر على عرض الآراء النحوية، بل وظّفها توظيفاً دلالياً عميقاً يخدم تفسير النص القرآني ويكشف عن مرونة التركيب العربي واتساعه. وانتهت الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها أن التوجيه النحوي في الحواشي التفسيرية يُعد أداة علمية فاعلة لفهم النص القرآني، وأن حاشية المقدسي تمثل مصدراً مهماً يجمع بين الدرس النحوي والتفسير اللغوي والدلالي للقراءات القرآنية.

apstrikt

This study aims to investigate the grammatical orientation of Qur'anic readings in the marginal commentary of Imam Muhammad Radi al-Maqdisi (d. 1028 AH / 1619 CE) on the exegetical hashiyas of Al-Zamakhshari, Al-Baydawi, and Abu al-Su'ud, while exploring his methodological approach in linking Qur'anic readings to grammatical structure and exegetical meaning. The study proceeds from the significance of Qur'anic readings as one of the manifestations of the rhetorical and linguistic inimitability of the Holy Qur'an, as well as from the linguistic diversity they embody, which enriches meaning and broadens semantic interpretation. It also seeks to clarify the role of Arabic grammar in directing and analyzing these readings in accordance with the principles of grammatical theory and the viewpoints of the Basran and Kufan schools of grammar.

The research adopts a descriptive-analytical methodology based on the inductive examination of Qur'anic evidence cited in the hashiya, together with an analysis of the syntactic and morphological aspects related to the three categories of words: nouns, verbs, and particles. The study further demonstrates the impact of these grammatical

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، المبعوث بأفصح لسان، وعلى آله وصحبه الأطهار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي أبهرت العقول بأسرار نظمها، وعميق دلالاتها، ودقة تركيبها. ومن وجوه هذا الإعجاز التعدد الأدائي اللغوي المتمثل في "القراءات القرآنية"، والتي لم تكن يوماً مجرد اختلاف في اللفظ، بل هي نافذة تتسع من خلالها المعاني والدلالات الشريفة. ولان النحو العربي هو الحارس الأمين لبنية النص القرآني، والمعيار الدقيق لاستنباط الأحكام وفهم المراد، فقد انبرى علماء الأمة لربط القراءات بالصناعة النحوية، فيما عُرِف بـ "**التوجيه النحوي للقراءات القرآنية**". ولم يقتصر هذا التوجيه على المصنفات النحوية الخالصة أو كتب القراءات المجرّدة، بل تغلغل في أعماق المدونات التفسيرية، ولا سيما "الحواشي الذيلية" التي مثّلت قمة النضج العقلي واللغوي في القرون المتأخرة. وتأتي "**حاشية الإمام محمد رضي المقدسي**" على تفاسير الأئمة الثلاثة (الزمخشري، والبيضاوي، وأبي السعود) كنموذج فذّ يعكس عمق التلاقح بين الدرس النحوي الصارم والدلالة التفسيرية المستنبطة، حيث تميزت بحشد آراء كبار نحاة البصرة والكوفة، والموازنة بين وجوه الإعراب، والكشف عن الأثر الدلالي الكامن وراء تنوع الصيغ الإعرابية والصرفية. في محاولة استجلاء مسالك الإمام المقدسي ومنهجه في التعامل مع النص القرآني وتوجيه قراءاته متواترة وشاذة.

تظهر أهمية الدراسة في كونها تربط بين النظرية النحوية والتطبيق السياقي، وتكشف عن مدى مرونة التركيب العربي، متمثلاً في أقسام الكلمة الثلاثة: (الأسماء، والأفعال، والحروف)؛ إذ يسعى البحث إلى إثبات أن التوجيه النحوي في الحواشي التفسيرية لم يكن ترفاً عقلياً أو تقعيداً مجرداً، بل كان أداة محورية لخدمة المعنى التفسيري وترجيح الأوجه الدلالية.

انتظم هذا البحث في مقدمة تمهيدية، يتبعها ثلاثة مباحث رئيسة قائمة على استقراء البنية التركيبية للغة: خُصِّص الاول منها لدراسة "الأسماء" وأثر التوجيه النحوي في وجوهها الإعرابية واشتقاقاتها الصرفية. والثاني: تناول "الأفعال" وتنوع صيغها الزمنية والتركيبية بين القراءات. وركز المبحث الثالث على "الحروف" من حيث الاداء والوظيفة وتأثيرها في صياغة المعنى المقصود.ثم خُتِم البحث بخاتمة تُجمل ما أسفرت عنه الدراسة من نتائج .

المبحث الأول

الأسماء

الأسماء في العربية هي عماد البنية التركيبية ومحور الدلالة فبها ، يتحقق الاسناد وتنجلي العلاقات النحوية والتي ينتظم بها الكلام فتغدوا الأسماء وعاءً ومعياراً دقيقاً للمعاني لتوجيهها في سياقات مختلفة ، فيبرز في باب

الأسماء تعدد الأوجه الأعرابية وتنوع المسالك التوجيهية ، ويبرز أثر الصناعة النحوية في استنباط الدلالات والكشف عن أسرار الاختلاف في القراءات وما ينطوي عليه من ثراء لغوي .

من هذا المنطلق تتخذ دراسة الأسماء في إطار التوجيه النحوي للقراءات كما عرضها علماء العربية خاصة في حاشية المقدسي على التفاسير (الكشاف ، والبيضاوي ، وابي السعود) بعداً منهجياً يتجاوز حدود التقعيد إلى استنطاق النص القرآني في ضوء تنوع (صيغه الأسمية) والتي تسهم في توجيه المعنى وترجيح الأوجه، وذلك من خلال ما يعتريها من تعريف وتنكير وإفراد وتثنية وجمع وإعراب ، تتبدل به الدلالة تبعاً للسياق ، وهنا سنحاول الوقوف في هذا المبحث باستجلاء وجوه التوجيه النحوي المتعلقة بالأسماء في القراءات القرآنية التي اتيحت لنا في حاشية المقدسي ومحاولة الوقوف على آراء العلماء وتحليل مسالك المقدسي في توجيه البنية الأسمية ، بما يكشف عن دقة النظر النحوي ، وعمق الصلة بين الصناعة النحوية والدلالة القرآنية ،

قال الكشاف : وقرئ : مثابات ، لأنه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم (سواءً العاكف فيه والباد)[1] . ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [سورة البقرة : الآية125] .

قوله عز وجل ﴿ جَعَلْنَا ﴾ : عطف على قوله : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ ﴾ ، ﴿ ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً ﴾ : مفعولان لجعل ، لأنه بمعنى صيّر . واصل مثابة : مثوبة بوزن مفعلة ، من تاب يتوب متاباً : مثوبة بوزن مفعلة ، من تاب يتوب متاباً ومتابةً ، إذا رجع ، فنقلت حركة الواو إلى الثاء ، وقلبت الواو ألفاً حملاً على : ثاب ، والهاء في مثابه للمبالغة عند ابي الحسن كعلاّمة ونسّابة ، لكثرة من يتوب إليه[2] ، قاله الأخفش ، وقال غيره : هي تأنيث المصدر وليست للمبالغة[3] .

قال ورقة بن نوفل في الكعبة :

مثاباً لأفناء القبائل كُلّها .... تَخُب إليها اليعملات الذوامل

وقرأ الأعمش (مثابات) على الجمع أن يكون من الثواب ، أي يثابون هناك ، وقال مجاهد : لا يقضي أحدٌ منه وطراً ، لأنه قلما يفارق أحد البيت إلا وهو يرى أنه لم يقض منه وطراً[4] .

وقد اختلف اهل اللغة في (المثابة) في السبب الذي من أجله أُنث ، على قولين :

احدهما : أن (الهاء) الحقت في (المثابة) لما كثر من يثوب إليه ، كما يقال : سيارة لمن يكثر ذلك ، (ونسابة) وهو قول بعض نحويي البصرة .

---

[1] حاشية محمد رضي الدين المقدسي (ت 1028ه) ، على تفسير الكشاف ، والبيضاوي ، وابي سعود ، تحقيق ودراسة : عبد الرحمن فيصل عباس الصالحي ، 145.

[2] الكتاب الفريد في اعراب القرآن المجيد ، للمنتجب الهمداني (ت643ه) ، تحقيق : محمد نظام الدين الفتيح ، دار الزمان للنشر والتوزيع – المدينة المنورة ، ج1 ، ص477 .

[3] الجامع لأحكام القرآن : محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق : احمد البدروني وابراهيم اطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط2 ، 1964م ، ج2 ، ص110 .

[4] الجامع لأحكام القرآن : ابو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، ج2 ، ص110 .

والثاني : ان (المثاب والمثابة) بمعنى واحد ، نظيره (المقام) و (المقامة) ذكر – على قوله – لأنه يريد به الموضع الذي يقام فيه ، وأُنثت (المقامة) لأنه أُريد بها البقعة ، وانكر هؤلاء أن تكون (المثابة) كـ (السيارة) و (النسابة) ، وقالو : انما ادخلت الهاء في (السيارة) و (النسابة) تشبيهاً لها بـ (الداعية) وهذا قول بعض نحويي الكوفة واكثر المفسرين قد فسروا لفظ (مثابة) بما وضع له لغة ، فقالوا معناه : (مرجعاً)[5] .

وعن الفراء والزجاج : المثابة والمثاب بمعنى . فمن اراد البقعة ، ومن ذكَّرَ أراد الموضع ، كما قيل : مقام ومقامةٌ ، فعلى الوجه الأول : مصدر بمعنى الرجوع ، ولهذا قدر بعضهم : ذا مثابة وعلى الثاني :

بقعة . تعضده قراءة من قرأ ، (مثابات) على الجمع – لأنه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد ، وهو الأعمش وقد جوز ان يكون من الثواب أي : يثابون[6] .

، قال : الكشاف : " ويجوز ان يكون ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ مبتدأ متضمناً معنى الشرط , وقوله : ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ جواباً للشرط " [7].﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة البقرة : الآية 126]

قال ابو الفتح : اما على قراءة الجماعة (فامتعه ثم اضطره) فأن الفاعل في قال هو اسم الله تعالى أي : لما قال ابراهيم : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [سورة البقرة : الآية 126] ، قال الله تعالى : ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾[8] .

وقال ابن عباس : هذا من قول ابراهيم يسأل ربه ان من كفر فأمتعه قليلاً قلت : كان ابن عباس يقرأ ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ ﴾ بلفظ الأمر فلذلك قال هو من قول ابراهيم ، فجعلوا ذلك من تمام دعاء ابراهيم كما رواه جعفر عن الربيع عن ابي العالية قال : كان ابن عباس يقول : ذلك قول ابراهيم ، يسال ربه ان من كفر فامتعه قليلاً [9].

قرأ ابن عامر ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ ﴾ خفيفاً بضم الهمزة والباقون مشدداً ومعناها واحدٌ قليلاً ، أي : سأرزق الكافر أيضاً قليلاً ، إلى منتهى اجله ، وذلك لأن متاع الدنيا قليل[10] .

﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ﴾ : (مَنْ) اما منصوب بفعل مقدر تقديره : ورزق من كفر ، واما مرفوع مبتدأ وهي شرط و (فامتعه) الخير والجواب و (قليلاً) منصوب ، اما لأنه صفة لمصدر محذوف وتقديره تمتيعاً قليلاً ، او لأنه صفة لظرف محذوف وتقديره زماناً قليلاً[11] .

---

[5] الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية ، عبد الله خضر حمد ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، النشر الإلكتروني فقط ج/3 ، ص210 ، وينظر : تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن : ج110/2.

[6] الكتاب الفريد في اعراب القرآن المجيد : الهمذاني ج1 ، ص477 ، وينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ، ج1 /376-377 .

[7] حاشية محمد رضي الدين المقدسي (ت 1028ه) ، ص228.

[8] الكشاف على حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر بن احمد الزمخشري (ت538ه) ، دار الريان للتراث بالقاهرة دار الكتاب العربي ، بيروت ، 116/1 .

[9] تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ، تحقيق : حكمت بن بشير بن ياسين ، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع ، السعودية ، 621/1 .

[10] معالم التنزيل في تفسير القرآن : تفسير البغوي (ت 510ه) ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط4، 149/1 .

[11] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة الزحيلي (ت 1436ه) ، دار الفكر (دمشق – سوريا) ، 301/1.

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ يحتمل ان تكون (من) شرطية في موضع رفع بالابتداء ، وخبره (كفر) وجوابه (فأمتعه) أي : ومن كفر فانا امتعه ، وان تكون موصولة في موضع نصب بإضمار فعل ، أي: وارزق من كفر ، كما يقال لك : اكرم القوم سخيهم فتقول : والبخيل . (فامتعه) عطف على هذا المحذوف والمستكن في (قال) على هذا : لله سبحانه[12] .

واما على قراءة ابن عباس : ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ فيحتمل امرين :

احدهما : وهو الظاهر – ان يكون الفاعل في (قال) ضمير ابراهيم (عليه السلام) أي : قال إبراهيم ايضاً : ومن كفر فأمتعه ثم اضطره يارب .

وحسن على هذا اعادة (قال) لأمرين احدهما : طول الكلام ، فلما تباعد آخره من اوله اعيدت (قال) لبعدها كما قد يجوز مع طول الكلام ما لا يجوز مع قصره . والآخر : انه انتقل من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين ، فكأن ذلك اخذ في كلام آخر ، فأستؤنف معه لفظ القول ، فجرى ذلك مجرى استأناف التصريح في القصيدة إذا خرج من معنى إلى معنى[13] .

وقرأ : ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ ﴾ من مَتَّعَ ، و (فأُمتِعُهُ من أمْتَعَ) ، وقرأ في غير المشهور : (فأمْتِعْهُ) بفتح الهمزة واسكان العين (ثم اضطره) بوصل الالف وفتح الراء على لفظ الأمر[14] .

قال القاضي : وقرئ (مُسْلِمِينَ) على انَّ المراد انفسهما وهاجر . أو أنَّ التثنية من مراتب الجمع[15] .

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة : الآية 128] ، قوله عز وجل : ﴿ مُسْلِمَيْنِ ﴾ مفعول ثانٍ ، و (لك) متعلق بمسلمين ، لأنه في معنى يخلص ، أي : مخلصين اوجهنا ، من قوله : [اسلم وجهه لله] أو مستسلمين ، يقال : اسلم له وسلم واستسلم[16] ، و(مسلمين) بصيغة الجمع مفعول ثان للجعل لأنه بمعنى التصيير ، والمفعول الأول هو (ن) وفي قراءة ابن عباس بصيغة الجمع تأويلان :

احدهما : انهما اجريا التثنية مجرى الجمع ، وبه استدل من يجعل التثنية جمعاً .

والثاني : انهما ارادا انفسهما واهلهما كهاجر[17] .

و (مُسْلِمِينَ) : جملة اسمية تدل على الثبوت[18] .

وعن الحسن (مسلمِينَ لك) بكسر الميم الثانية وفتح النون على الجمع دعاء لهما وللموجود من اهلهما كـ (هاجر) والأول اولى[19] .

---

[12] الكتاب الفريد في اعراب القرآن المجيد ، الهمذاني ، 380/1 .
[13] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ، لابن جني (ت 392ه) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 192/1 .
[14] الفريد في اعراب القرآن المجيد للهمذاني ، 380/1 .
[15] حاشية محمد رضي الدين المقدسي (ت 1028ه) ، ص263.
[16] الكتاب الفريد في اعراب القرآن المجيد ، الهمذاني ، 384/1 .
[17] ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي (ت 756ه) ، دار القلم – دمشق ، 115/2 ، وينظر : ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود ، 161/1 .
[18] ينظر : تفسير القرآن الدين الجامع ، محمد هلال ، دار المعارض ، دمشق -سوريا ، 350/8 .

خلاصة التوجية: النص يركز على (مسلمين) مفعول ثان ل(جعل) ويوضح كيف يمكن ان تنتقل الدلالة من التثنية الى الجمع, إما لغويا او لتشمل الاهل والاتباع.

قال القاضي : (وقرء بالنصب على انَّه ممن وصاه ابراهيم)[20] .

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة : الآية 126] ٠

ووصى بها ابراهيم بنيه : التوصية هي التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة ، واصلها الوصل ، يقال : وصّاه إذ وصله ، وفصاه إذا فصله ، كأن الموصي يصل بفعل الموصى والضمير في بها للملة ، او كقوله أسلمت على تأويل الكلمة ، او الجملة[21] .

(ويعقوب) بن اسحاق بالرفع عطفاً على ابراهيم أي : ووصى ابراهيم بنيه عند موته بهذه الملة كوصية ابراهيم ، وقرئ بالنصب عطفاً على بنيه .

وقرأ الجمهور (ويعقوبُ) بالرفع ، وقرأ اسماعيل بن عبد الله المكي الضرير ، وعمر بن خالد الاسواري بالنصب ، فأما قراءة الرفع فتحتمل وجهين :

احدهما : ان يكون معطوفاً على ابراهيم ، ويكون داخلاً في حكم توصية ، بنيه ، أي: ووصي يعقوب بنيه .

الثاني : أن يكون مرفوعاً على الابتداء ، وخبره محذوف ، تقديره ويعقوب[22].

خلاصة التوجيه النص يفرق بين ان يكون (يعقوب) فاعلا (موصيا) وهو المرجح في قراءة الرفع, وبين يكون مفعولا به (موصى اليه) في قراءة النصب. مع شرح لطيف لاصل الاشتقاق اللغوي لكلمة (وصى) وارتباطها بالوصل.

قال الكشاف : وقرأ اليزيدي[23] بالرفع ، ووجهه ان تكون (كان) مزيدة كما في قوله ، وجيران لنا كانوا كرام[24] .

قوله : ﴿ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً ﴾ [سورة البقرة : الآية 143] ٠

والقراءة المشهورة نصب (كبير) ، على خبر واسم كان مضمرٌ فيها يعود على التولية او الصلاة او القبلة المدلول عليها بسياق الكلام وقرأ اليزيدي (عن ابي عمرو) برفعها وفيه تأويلان:

احدهما: ذكره الزمخشري: أنَّ (كان) زائدة في زيادتها عاملة نظراً لا يخفى, وقد استدل الزمخشري على ذلك بقوله:

فكيـــــف إذا مَـــــررت بـــــدار قـــــومٍ ... وجيـــــران لنـــــا كـــــانوا كـــــرامِ

---

(19) البحر المحيط:621/1

(20) حاشية محمد رضي الدين المقدسي (ت 1028ه) ، ص311 .

(21) انوار التنزيل واسرار التاويل ، ناصر الدين البيضاوي (ت 685ه) ، تحقيق : محمد عبد الرحمن مرعشلي ، دار احياء التراث ، بيروت – لبنان ، 107/1 ، وينظر : ارشاد الفعل السليم لأبو السعود ، 163/1 .

(22) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، محمد الأمين الهروي الشافعي (ت 1441ه) ، دار طوق النجاة ، بيروت – لبنان 299/2 ، وينظر : الموسوعة القرآنية : لأبن الأبياري (ت 1414ه) ، مؤسسة سجل العرب ، 82/5 .

(23) اليزيدي هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي ، ينظر : تاريخ بغداد ، للخطيب ، 182/4 ، وطبقات القراء السبعة : لأبن السلار ، ص109 .

(24) حاشية المقدسي (ت 1028ه) ، ص445 .

فإن قوله : كرام صفة لجيران ، وزادِ بينهما (كانوا) وهي رافعة للضمير ، ومن منع ذلك تأوّل (لنا) خبراً مقدماً وجملة الكون صفة لجيران .

والثاني : أنَّ (كان) غير زائدة بل يكون (كبيرة) خبراً لمبتدأ محذوف ، والتقدير : وان كانت لهي كبيرة، وتكون هذه الجملة في محل نصب خبراً لكانت، ودخلت لام الفرق على الجملة الواقعة خبراً، وهو توجيه ضعيف، ولكن لا توَجَّه هذه القراءة الشاذة بأكثر من ذلك[25].

والصحيح ما ذهب إليه الخليل وسيبويه من زيادتها، لأن قوله: (لنا) من صلة الجيران لا يجوز ان يكون خبراً لـ (كان) إلا ان يريد معنى الملك ، ولا يصح الملك ها هنا لأنهم لم يكونوا لهم ملكاً ، وإنما كانوا لهم جيرة فالجوار هو الخبر و (لنا) تبين له[26] .

وروى علي بن حمزة البصري في (التنبيه) على ما وقع من الأغلاط في نوادر أبي زياد ، عن الجلودي في أخبار الفرزدق انه حضر عند الحسن البصري فأنشده اقول:

إذا رأيت ديار قومي ... وجيـــــران لنـــــا كـــــانوا كـــــرامِ

فقال له الحسن : كراماً يا ابا فراس ، فقال الفرزدق ما ولدتني إلا ميسانية إن جاز ما نقول يا أبا سعيد ، قال ، وام الحسن من ميسان فهذا رد الفرزدق عن نفسه وقد أصّاب . وتقديره قوله :

وجيران كراماً كانوا لنا. انتهى، وميسان من قرى العراق ، أي لم اكن من العرب ، بل من المولدين إن صح ما لحنني فيه[27] .

وتوضيح الرأي الذي اختلف فيه في قول الفرزدق كما جاء في النحو المصفى الآتي :

1- إن (كان) هنا ناقصة وليست زائدة ؛ لأنه لم يتحقق فيها صفة الزيادة من تجردها من الاسناد ، بل هي مسندة إلى واو الجماعة ، وبذلك تكون واو الجماعة اسمها والجار والمجرور (لنا) خبر مقدم والجملة كلها صفة لكلمة (جيران) وجاءت بعدها صفة اخرى هي كلمة (كرام) وهذا رأي وجيه .

2- أنَّ (كان) هنا زائدة مع اسنادها لواو الجماعة – بين الصفة والموصوف الذي يفهم من هذا الرأي ان الجار والمجرور (لنا) صفة لكلمة (جيران) وأنَّ (كانوا) كلها زائدة مع اسنادها واو الجماعة وكلمة (كرام) صفة اخرى ، وهذا رأي توجيهه مرجوح[28] .

قال المفتي : (وقرئ رَءُوفٌ بغير مد كندس)[29] .

---

[25] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، 156/2 ,

[26] تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب ، ابو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشمنتري (ت 476ه) ، تحقيق : زهير عبدالمحسن سلطان ، الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية ، 1415ه-1994م ، ص295 .

[27] شرح ابيات مغني اللبيب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (1030ه-1093ه) ، دار المأمون للتراث – بيروت ، تحقيق عبد العزيز رباح – احمد يوسف دقاق ، ط (ج1-4) الثانية (ج5-8) الاولى ، 168/5-169 ، وينظر : التذييل والتكميل في شرح التسهيل لأبو حيان الأندلسي : 221/4 .

[28] النحو المصفى ، محمد عيد ، الطبعة الأولى ، 1971م ، ص254-255 .

[29] حاشية المقدسي (ت 1028ه) ، ص451 .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : الآية 143] .

تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فأن اتصافه عز وجل بها يقتضي لا محالة ان لا تضيع اجورهم ، ولا يدع ما فيه صلاحهم ، و (الباء) متعلقة (برؤوف) وتقديمه على (رحيم) مع كونه ابلغ منه لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم ، وقيل اكثر من الرأفة في الكمية والرأفة اقوى منها في الكيفية ، لأنها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الآلام ، والرحمة إيصال النعمة مطلقاً وقد يكون مع الألم كقطع العضو المتآكل ، وقرئ رؤوف بغير مد كندس[30] .

وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص: لرؤُوفٌ مهموزاً على وزن فعول حيث وقع ، قال الشاعر:

نطيعُ رسولنا ونطيع رَبّاً ... هـــو الـــرحمن كـــان بنـــا رؤُفَـــاً[31]

وقرأ (باق في السبعة) : لرؤفٌ مهموزاً على وزن نَدُس ، قال الشاعر :

يـــــرى للمســـــلمين عليـــــه حقـــــاً ... كحـــق الوالِـــدِ الـــرَؤُفِ الـــرحيمِ[32]

وقال الوليد بن عقبة :

وشـــــرُّ الظـــــالمين فـــــلا تكنـــــه ... يقابـــل عَمَّـــهُ الـــرَّؤُفَ الـــرَّحيمُ[33]

وقوله تعالى : (والله رؤوف) ، أي : ذو رأفة و (الرأفة) قال العلماء :

هي أرق الرحمة ، وألطفها ؛ و (بالعباد) أي جميعهم[34] .

وقرأ ابو جعفر بن القعقاع : الرّؤفٌ بغير همز ، وكذلك سهل كل همزة في كتاب الله ساكنة كانت او متحركة ، ولما كان نفي الجملة السابقة مبالغاً فيها من حيث لام الجحود ناسب اثبات الجملة مبالغاً فيها ، فبولغ فيها بأن وباللام وبالوزن على فعول وفعيل ، وكل ذلك اشارة إلى سعة الرحمة وكثرة الرأفة ، وتأخر الوصف بالرحمة لكونه فاصلة ، وتقدمّ المجرور اعتناءً بالمرؤوف بهم[35] .

قال الكشاف : وقرئ (لكل وجهةٍ) على الاضافة ، والمعنى وكل وجهة الله موليها ، فزيدت اللام لتقديم المفعول كقوله : لزيدٍ ضرَبْتُ ، ولزيدٌ أبوه ضاربه[36] .

---

[30] ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود ، 174/1 .
[31] البيت من الوافر لكعب بن مالك الأنصاري من قصيدة قالها حين اجمع الرسول (ﷺ) للسير إلى الطائف ، ينظر : سيرة ابن هشام ، 148/4 ، ولسان العرب ، (مادة رأف) .
[32] البيت من الوافر لجرير ، ينظر : ديوان جرير ، ص607-608 ، ينظر : الخزانة ، 222/4 .
[33] الوليد بن عقبة بن ابي معيط ابو رهب الاموي القرشي وال من فتيان قريش وشعرائهم واجودهم مات بالرقة سنة (61ه) ، ينظر : الاغاني ، 122/5 ، ينظر : الاعلام ، 122/8 .
[34] تفسير العثيمين (الفاتحة والبقرة) ، محمد بن صالح العثيمين (ت 1421ه) ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، 1423ه ، 451/2 .
[35] البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، 601/1 .
[36] حاشية المقدسي ، ص479 .

قوله : (وجهة) : قبلة ، قال ابو البقاء : وجهة جاء على الأصل ، والقياس جهة ، والوجهة : مصدر في معنى المتوجه إليه كالخلق بمعنى المخلوق ، وقال الزجاج : يقال : هذه جهة ووجهةٌ ووجْهَةٌ .

قوله : ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[سورة البقرة : الآية 148] قال الزجاج : (هو) لكل ، المعنى : كل اهل وجه هم الذين ولو وجوههم إلى تلك الجهة ، وقيل : هو موليها ، أي : الله تعالى يولي أهل كل ملة القبلة التي يريد ، فعلى التقديرين احد مفعوليه محذوف[37] .

ويحتمل ان يكون الضمير في قوله (هو موليها) عائد على الله سبحانه ، وأن لم يسبق له ذكر لعلمه من السياق ، إذ من المعلوم ان الله فاعل ذلك ، والمعنى حينئذ ، أن لكل صاحب ملة قبلةٌ ، الله موليها إياه ، أي أمر بأن يستقبلها ، اتبعها من اتبعها ، وتركها من تركها ، يعني : شارعها ومكلفهم بها[38] ، وقرأ الجمهور : ولكلٍّ منوناً ، وجهةٌ / مرفوعاً ، هو مولِيها : بكسر اللام اسم الفاعل .

وقرأ ابن عامر : هو مُولاها ، بفتح اللام : اسم مفعول ، وهي ، قراءة ابن عباس . وقرأ قوم شاذاً : ولكل وجهة ، يخفض اللام من كل من غير تنوين وجهةٍ : بالخفض منوناً عن الإضافة ، والتنوين في تنوين عوض من الإضافة ، وذلك المضاف إليه كل المحذوف أختلف في تقديره[39] .

قال الزمخشري : المعنى : ولكل وجهة الله موليها ، فزيدت اللام لتقدم المفعول ، كقولك لزيدٍ ضربت، ولزيد ابوه ضاربه انتهى.

وجاء في البحر المحيط بأن هذا فاسد، لأن العامل إذا تعدى لضمير الاسم لم يتعد الى ظاهره المجرور باللام، ولا يجوز ان يقول : لزيد ضربته ولا : لزيد أنا ضاربه، وعليه أن الفعل إذا تعدى للضمير بغير واسطة كان قوياً، واللام إنما تدخل على الظاهر إذا تقدم ليقويه الضعف وصولاً إليه متقدماً ، ولا يمكن أن يكون العامل قوياً ضعيفاً في حالة واحدة ، لأنه يلزم من ذلك أن يكون المتعدي إلى واحد يتعدى إلى اثنين[40] .

وقال ابن جرير : هي خطأ لا سيما وهي معزوة إلى ابن عامر أحد القراء السبعة، وقرأ أُبي : (ولكلِ قبلة) وهي قراءة شاذة ، وقرأ عبد الله : (ولكل جعلنا قبلة) وهي قراءة شاذة ايضاً[41].

أما : (لزيد ابوه ضاربه) فتركيبٌ غير عربي ، فأن قلت ، لِمَ تتوجه هذه القراءة على أن لكل وجهة في موضع المفعول الثاني لمولِيها والمفعول الأول هو المضاف إليه اسم الفاعل الذي هو مُوَلٍّ وهو الهاء وتكون عائدة على أهل القبلات والطوائف أصحاب القبلات ؟ .

ومع ذلك نص النحويين على أن المتعدي الى واحد هو الذي يجوز أن تدخل اللام على مفعوله إذا تقدم ، اما ما يتعدى إلى أثنين فلا يجوز أن يدخل على واحد منهما اللام إذا تقدم ، ولا إذا تأخر، وكذلك ما يتعدى إلى ثلاثة (ومؤلٍّ) هنا اسم فاعل من فعل يتعدى إلى اثنين فلذلك لا يجوز هذا التقدير[42] .

---

(37) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ، حاشية الطيبي على الكشاف ، 156/3 ، ينظر : المعاني في القرآن : للزجاج ، 225/1 .
(38) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن : محمد الأمين الهرري ، 31/3 .
(39) البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي ، (1420ه-2000م) ، 37/2 .
(40) البحر المحيط : لأبي حيان ، 37/2 .
(41) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن : للهرري ، 31/3 .

قال الكشاف : وقرأ الحسن : ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [سورة البقرة : الآية 161] بالرفع عطفاً على محمل اسم الله ، لأنه فاعل في التقدير ، كقولك : عجبت من ضرب زيدٍ وعمروٍ ، تريد من أن ضرب زيد وعمراً ، كأنه قيل : اولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة[43] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ [سورة البقرة : الآية 161]•

أن قراءة الحسن : (لعنة الله والملائكة والناس أجمعون) جائز في العربية ، وإن كان (اجمعون) مخالفاً لرسم المصحف ، وقولك : (عليهم لعنة الله) كقولك : يلعنهم الله ، ويلعنهم الملائكة والناس .... و العرب تقول .... [44].

وفي البحر الحيط : قرأ الجمهور (الملائكة والناس اجمعين) بالجر عطفاً على اسم الله ، والحسن قراءها (والملائكة والناس اجمعون) وجميع من وقفنا عليهم من المعربين والمفسرين على أنه معطوف على موضع اسم الله لأنه عندهم في موضع رفع على المصدر، وقدروه : أن لعنهم الله ، او ان يلعنهم الله ، والذي جوزوه ليس بجائز، على ما تقرر في العطف على الموضع من أن شرطه أن يكون طالب ومحرز للموضع لا يتغير[45] .

ونقل عن سيبويه : أن قولك : هذا ضاربُ زيدٍ غداً وعمراً، بنصب(عمراً) ، أن نصبه بفعل محذوف، وابى أن ينصبه بالعطف على الموضع ثم بعد تسليمه ذلك كله ، قال: المصدر المنون لم يسمع بعده فاعل مرفوع ، ومفعول منصوب ، انما قاله البصريون قياساً على (ان والفعل) ومنعه القراء، وهو الصحيح[46] ، ثم انه خَرَّجَ هذه القراءة الشاذة على أحد ثلاثة أوجه :-

أولها : أنه يكون على إضمار فعل لما لم يمكن العطف ، التقدير : وتلعنهم الملائكة كما خرج سيبويه هذا ضارب زيد عمراً ، أنه على إضمار فعل ، ويضرب عمراً .

الثاني : أنه معطوف على لعنة الله على حذف مضاف، أي لعنة الله ولعنة الملائكة ، فلما حذف المضاف أعرب المضاف إليه بإعرابه ، الثالث : أن يكون مبتدأ حذف خبره لفهم المعنى أي والملائكة و الناس أجمعون يلعنونهم[47] .

قال القاضي: (وتأنيث الفلك ، لأنه بمعنى السفينة ، وقريء بضمتين على الاصل ، أو الجمع، وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين)[48] .

---

(42) البحر المحيط : لابي حيان ، 37/2 .
(43) حاشية المقدسي ، ص539 .
(44) ينظر : معاني القرآن واعرابه : للزجاج ، 96/2 .
(45) ينظر : دراسات لاسلوب القرآن الكريم لعبد الخالق عظيمة ، 246/6 ، ينظر : البحر المحيط : 460/1-462 .
(46) اللباب في علوم الكتاب : ابو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت 880ه) ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان ، الطبعة الأولى ، 1419ه-1998م ، 112/3 .
(47) دراسات لاسلوب القرآن الكريم : لعبد الخالق عظيمة ، 248/6 .
(48) حاشية المقدسي : ص551 .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[سورة البقرة : الآية 164]•

جاء في معاني القرآن : الفلك السفينة، والفلك يكون واحداً ويكونُ جمعاً كما انهم قالوا أسدٌ، وأُسد ، قالوا في الواحد فلك وفي الجمع فُلك)[49] ، والفلك : بالضم ، تذكر وتؤنث[50] . و(الفُلْك) عند الجمهور على : أنه بضم الفاء وسكون اللام وقيل انه يقال فُلُك بضمتين ايضاً ، وبين الرضي في شرح الشافية إلى جواز أن يكون بضمتين هو الأصل، وان ضم الاول وتسكين الثاني لعله تخفيف منه كعنق[51] .

و(الفلك) السفينة المدورة[52] . وتقع على الواحد والاثنين والجمع قال الله في التوحيد والتذكير : ﴿ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ [سورة الشعراء : الآية 119] ، فذكر الفلك وجاء به موحداً، ويجوز أن يؤنث واحده كقوله تعالى : ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ [سورة يونس : الآية 22] ، فقال : جاءتها ، فأنث ، وقال: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾ [سورة فاطر : الآية 12] ، مجمع ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ ﴾ [سورة البقرة : الآية 164] ، فأنث ، و يحتمل أن يكون واحداً وجمعاً [53] .

وقال الجوهري : وكان سيبويه يقول : (الفلك التي هي جمع تكسير للفلك التي هي واحدٌ[54] وجاء في اللسان قول ابن بري : هنا صوابه الفلك الذي هو واحدٌ ، وإذا جعلت الفَلَك واحداً فهو مذكر لا غير وإن جعلته جمعاً فهو مؤنث لا غير، وقد قيل : أن الفلك يؤنث وإن كان واحداً، قال تعالى : ﴿ ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [سورة هود : الآية 40] [55] .

المبحث الثاني

الافعال

للفعل دورٌ اساسي ومحوري في البنية التركيبية للغة العربية في بناء الجملة ، وإسناد المعنى ؛ لدلالته على الحدث واقترانه بزمن مخصوص وبهذا يختلف عن الاسم والحرف في طبيعته الوظيفية والدلالية ، فالنحاة الأوائل اهتموا اهتماماً فائقاً بالفعل من حيث الصيغة والزمن والابنية وتصرفه ، وعلاقته بما يتعدى إليه من مفاعيل أو اكتفائه بالفاعل، فضلاً عن أثره في توجيه المعنى أو تحديد المقصد، والفعل في ميدان القراءات القرآنية أهم وأعمق ، فاختلاف صيغ الافعال بين قراءة وأخرى بفتح آفاقاً دلالية وتوجيهات نحوية متعددة ، تكشف عن مرونة التركيب العربي وثرائه،

---

(49) معاني القرآن واعرابه : ابو اسحاق الزجاج (ت 311ه) ، تحقيق : عبد الجليل شلبي ، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1408ه-1988م ، 50/3 .
(50) لسان العرب : لأبن منظور ، 479/15 .
(51) اعراب القرآن وبيانه ، محي الدين درويش ، 351/4 .
(52) تاج العروس : للزبيدي ، 305/27 .
(53) لسان العرب : لأبن منظور ، 479/15 ، وينظر : إعراب القرآن للدرويش ، 351/4 .
(54) الصحيح تاج اللغة وصحاح العربية : للجوهري ، 1604/4 .
(55) لسان العرب : لأبن منظور ، 479/15 ، وينظر : اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين الشنقيطي ، 305/3 .

فقد يأتي الفعل في قراءةٍ مبنياً للمعلوم ، وفي أخرى مبنياً للجهول، أو يختلف في الزمن أو في التعدية واللزوم ، مما ينعكس ذلك مباشرة في توجيه الإعراب وتفسير المعنى .

قال الكشاف : وعن النخعي : (الحرم كله مقام إبراهيم . وقرئ ﴿ وَٱتَّخِذُواْ ﴾ بلفظ الماضي عطفاً على (جعلنا) أي : واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذرّيته عنده، قبلة يصلون إليها)[56]

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [سورة البقرة : الآية 125] .

قرأ ابن عامر ونافع (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) بفتح الخاء وحجتهما أن هذا إخبار عن ولد إبراهيم (صلى الله عليهم) انهم اتخذوا مقام ابراهيم مصلى [57] وهو مردود إلى قوله ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾، وقرئ بالكسر على أنه أمر معترض بين الجملتين الخبريتين أو بتقدير (اتخِذوا) أي: وقلنا اتخذوا[58] . وهي قراءة قرأ بها ابن كثير وعاصم وابو عمرو وحمزة والكسائي .

اربعة اقوال في توجيه قراءة الجمهور هي :-

احدها: العطف على ما تضمنه قوله : (مثابة) كأنه قال : توبوا واتخذوا .

والثاني : معمول محذوف أي : وقلنا اتخذوا .

الثالث : الواو للاستئناف .

الرابع : (واتخذوا) معطوفة على (اذكروا) إذا قيل بأن الخطاب لبني اسرائيل ، أي : اذكروا نعمتي ، واتخذوا ، وهذا الوجه لم يرتضيه الطبري و استبعده ابو حيان[59] ، وحجة من قرأ (واتخِذوا) بكسر الخاء ما ورد في التفسير أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عمر رضي الله عنه ، فلما أتى على المقام قال له عمر هذا مقام نبينا ابراهيم صلى الله عليهم جميعاً ، قال نعم ، قال افلا تتخذه مصلى فأنزل الله جل وعلا ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ يقول وافعلوا[60] . والوجه الثاني هو : (واتخذوا) بفتح (الخاء) على وجه الخبر، وهي قراءة نافع ابن عامر ، ثم اختلف في ما عطف عليه بقوله : (واتخذوا) . وقد قرأ على وجه الخبر، وجاء فيه ثلاثة أوجه:

الأول : هو معطوف تقديراً على (إذ) كقوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ ، (وإذ) اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى. هو قول بعض نحويي البصرة

والثاني : عُطف على قوله (جعلنا) فكان بمعنى الكلام، على قوله : واذ جعلنا البيت مثابة للناس ، واتخذوه مصلى، وهو قول بعض نحويي الكوفة .

فللكلام الأول جملة واحدة ، وللثاني جملتان .

---

[56] حاشية المقدسي : ص193 .
[57]) حجة القراءات ، عبد الرحمن زنجلة (ت حوالي 403 ه) تحقيق سعيد الافغاني ،1417 ه (113)
[58] تفسير القرآن الكريم ، محمد احمد اسماعيل المقدم ، دروس صوتية قام بتفريعها .
[59] ينظر : الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية ، عبد الله خضر محمد ، دار العلم ، بيروت – لبنان ، ط/1 ، 1438ه-2017م ، 214/3 .
[60] ينظر : حجة القراءات ، عبد الرحمن بن محمد زنجلة ، ص113 .

والثالث : قيل : على محذوف، والتقدير، فتابوا ، أي : رجعوا واتخذوا[61] .

يتضح مما سبق أن القراءة الراجعة في قوله (واتخِذوا) بكسر الخاء، وهي القراءة التي اعتمدها قراء الكوفة والبصرة ومكة، وبعض قراء المدينة ، وهي التي تعضد الامر الإلهي للمؤمنين باتخاذ مقام إبراهيم مصلى ، بعكس قراءة الفتح .

قال الكشاف : (وقرأه أُبي : فنمتعه قليلاً ثم تضطره) [62].

قال تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة البقرة : الآية 126] .

جاءت (من) في موضع نصب من قوله (ومن كفر) ، والتقدير: وارزق من كفر ودل على الفعل المحذوف فأمتعه ، ويجوز أن تكون (من) للشرط ، وتكون في موضع نصب ويضمر الفعل بعدها ، ويجوز أن تكون في موضع رفع بالابتداء، والخبر (فأمتعه)[63] ، أي فأنا أمتعه، وإنما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط، والكفر وإن لم يكن سبباً للتمتيع المطلق لكنه يصلح سبباً لتقليله وكونه موصولاً بعذاب النار، وقيل هو عطف من آمن ، عطف تلقين كأنه قيل : قل وارزق من كفر فإنه أيضاً مجابٌ كأنه عليه السلام قاسَ الرزق على الإمامة فنبهه تعالى على أنه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر ، بخلاف الامامة الحاصلة للخواص [64]،وقرؤوا فأُمَتّعه ، بضم الهمزة. وفتح الميم وشد التاء ثم اضطره بقطع الألف وضم الراء ، وكذلك قرأ السبعة حاشا ابن عامرة. فأنه قرا (فأمتعه) بضم الهمزة وسكون الميم وتخفيف التاء ، (ثم أضطره) بقطع الألف[65] وفي قراءة يحيى بن وثاب فأِمتعه قليلاً ثم اضطره بكسر الهمزة ورفع الفعل على لغة من قال أنت تضرب [66] كما قرأ أبن عامر ثم اضطره بكسر الهمزة على لغة قريش من قولهم لا إخال، وقرأ أُبي بن كعب (فنمتعه ثم نضطره)، ومن شرط والجواب في فامتعه، وموضع من رفع على الابتداء والخبر ويصح أن يكون موضعها نصباً على تقدير وارزق من كفر ، فلا تكون شرطاً [67] .

وروي عن ابن محيصن انه كان يدغم الضاد في الطاء ، قال ابو جعفر وذا لا يجوز ، لأن في الضاد تفشياً فلا يدغم في شيء ، ولكن يجوز ان تدغم الطاء فيها كما قالوا أضّجع (وممن اضرَ)[68] .

وحكى ابو اسحق الزجاج ان في قراءة ابي (فنمتعه قليلاً ثم نضطره) بالنون ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة : هذا القول عن ابراهيم (عليه السلام) وقرؤوا (فأَمْتعه) يفتح الهمزة وسكون الميم ، (ثم أَضطرَه) بوصل الألف وفتح الراء ، فكان إبراهيم (عليه السلام) دعا للمؤمنين وعلى الكافرين وعليه فالضمير (قال) لإبراهيم واعيد (قال) لطول الكلام او لخروجه

---

(61) ينظر : الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية : عبد الله خضر محمد ، 214/3 .
62 حاشية المقدسي : 228 .
(63) ينظر : اعراب القرآن للنحاس (ت 338ه) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1 ، 1421ه ، 78-77/1 .
(64) ارشاد العقل السليم : لأبي مسعود ، 159/1 .
(65) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لأبن عطية الأندلسي (ت 542ه) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط /1 ، 1422ه ، 209/1 .
(66) اعراب القرآن : لابن نحاس ، 78-77/1 .
(67) المحرر الوجيز : لأبن عطية ، 209/1 .
(68) اعراب القرآن للنخاس ، 87-77/1 .

من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين ، والفاعل في (قال) على قراءة الجماعة اسم الله تعالى وهو الذي اختاره النحاس ، وقد جعل القراءة بفتح الهمزة وسكون الميم ووصل الألف شاذة .

يتضح من ذلك حسب القول ان نسق الكلام والتفسير جميعاً يدلان على غير ذلك ، فنسق الكلام اخبر الله تعالى عن إبراهيم (عليه السلام) انه قال ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ ثم جاء بقوله ﴿ وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ ولم يفصل بينه بقال ، ثم قال بعدُ (قال ومن كفر) فكان هذا جواباً من الله ، ولم يقل بعدُ : قال ابراهيم[69] .

قال الكشاف : (وقرأ : وارْنا ، بسكون الراء قياس على فخذ . وقد استرذلت ، لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها ، فأسقاطها اجحاف . وقرأ ابو عمرو بإشمام الكسرة . وقرأ عبد الله : وارهم مناسكهم[70] .

قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

[سورة البقرة : الآية 128] •

وارنا مناسكنا، وارنا الله جهرة ،(ارنا) من الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف ، أي : بصرنا او عرفنا[71].

قال الزجاج : تقرا (وأرنا) على ضربين : بكسر الراء ، وبإسكانها ، والأجود الكسر.[72] وذكر النحاس في اعرابه ، قال الفراء : وفي قراءة عبد الله ويقولان (ربنا تقبل منا وارنا مناسكنا) ويبعد (وارنا) بإسكان الراء ، لأن الأصل : ارينا ، فحذفت الياء لأنه امر وأُلقيت حركة الهمزة على الراء وحذفت الهمزة ، فان حذفت الكسرة كانت اجحافاً ، وليس هذا مثل فخذ لأن الكسرة في ارنا تدل على الهمزة وليست الكسرة في فخذ دالة على شيء ، ولكن يجوز حذفها على بعد لأنها مستثقلة . كما ان الكسرة في فخذ مستثقلة[73] .

وعن الخليل إذا قلت : ارني ثوبك بكسر الراء ، فالمعنى : بصرنيه ، وإذا قلته بسكون الراء فهو استعطاء ، ومعناه اعطنيه . وعلى هذا يكون معنى قراءة ابن كثير وابن عامر ومن وافقهما : مكنا من الذين اضلنا كي نجعلهما تحت اقدامنا ، أي أئذن لنا باهانتهما وخزيهما[74] .

(وارنا) الأصل ارئنا : فحذفت الهمزة التي هي عين الكلمة في جميع تصاريف الفعل المستقبل تخفيفاً ، وصارت الراء متحركة بحركة الهمزة ، والجمهور على كسر الراء ، وقرأ بإسكانها وهو ضعيف ، لأن الكسرة هنا تدل على الياء المحذوفة ووجه الاسكان ان يكون شبه المنفصل بالمتصل فسكن كما سكن فخذٌ وكتفٌ 75.

قيل الأصل في هذا الفعل (ارإينا) على وزن (اكرمنا) فنقلت الكسرة الهمزة إلى الراء وحذفت الهمزة تخفيفاً للكلمة وسقطت الياء للأمر . ولمن اسكن الراء حجتان :

---

(69) تفسير القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ، ابو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق : احمد البردوني وابراهيم اطفيس ، دار الكتب المصرية – القاهرة , ط2 ، 1348ه-1964م ، 119/2 .
(70) حاشية المقدسي : ص274 .
(71) الحجة في القراءات السبعة ، الحسين بن احمد بن خالويه ابو عبد الله ، 223/2 ، وينظر : ارشاد العقل السليم : لبي مسعود ، 161/1 .
(72) معاني القرآن واعرابه للزجاج ، 219/1 .
(73) اعراب القرآن للنحاس ، 78/1 .
(74) التحرير والتنوير : لأبن عاشور ، 281/24 ، وينظر : الكتاب الفريد في اعراب القرآن المجيد للهمذاني ، 385/1 .
75 التبيان في اعراب القران للعكبري ، 116/1

احدهما : انه اسكنها والأصل كسرها تخفيفاً كما قالوا في فخذ :

والثانية: انه بقى الراء على سكونها ، وحذفت الهمزة بحركتها ولم ينقلها .

وما روي عن ابي عمرو من امالة قوله : فلما رأى القمر وما شكله ، فغلط[76] .

والارجح في ما عرضنا في هذه المسألة ما ذهب إليه الزجاج واختاره اولاً ومن تبعه وهو (الكسر) .

قال الكشاف : قرأ زيد بن ثابت (أتحاجونا) بإدغام النون[77] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ [سورة البقرة : الآية 139] .

وجهان في قراءة (اتحاجوننا)

أحدهما : (اتحاجوننا) وهي قراءة الجماعة وهي : جواز اجتماع حرفين مثلين متحركين من جنس واحدة لان الثاني كالمنفصل.

والثاني : (اتحاجونا) بإدغام النون لاجتماع المثلين ، وهي التي قرأ بها زيد بن ثابت[78] ، وهو وجه جيد عند الزجاج ، جائز عند النحاس لكنه مخالف للسواد كما قال[79] ، ويجوز (اتحاجونا) بحذف النون الثانية كما قرأ نافع (فبم تبشرون)

قال الشاعر :

تـــــراه كالثغـــــام يعـــــل مســـــكاً ... يســـــوء الفاليـــــات إذا فلينـــــي

يريد فليننني

قال الزمخشري في قوله تعالى: (أتحاجونا) لم يخل ، أولها من أن يكون مدة أو غير مدة ، فإن كان مدة حذف كقولك: لم يقل ، ولم يبع ، ولم يخف... الخ إلا ما شذ من قولهم : الحسن عندك، وأيمن الله يمينك، وما حكى من قولهم : حلقنا البطتان[80] .

قال الزجاج : (ورأيت مذهب المازني وغيره رد هذه القراءة ، وكذلك ردوا فبم تبشرون) والاقدام على رد هذه القراءة غلط لأن نافعاً رحمه الله قرأ بها ، وأخبرني اسماعيل بن اسحاق ان نافعاً رحمه الله لم يقرأ بحرف إلا واقل ما قرأ به اثنان من قراء المدينة وله وجه في العربية فلا ينبغي ان يرد ولكن (الفتح) في قوله (بما تبشرون) اقوى في العربية في مسالة المحاجة كانت مع من ؟ ذكر المفسرون وجودها[81] .

وقرأ بعضهم (اتحتاجوننا) فلم يدغم ولكن اخفى فجعل حركة الاولى خفيفة وهي متحركة بالوزن ، وهي في لغة الذين يقولون (هذه مائة درهم) يشمّون شيء من الرفع ولا يبينونه ، وذلك : الاخفاء ، ولقد قرأ هذا الحرف على ذلك :

---

(76) الحجة في القراءات السبعة ، 223/2 .
(77) حاشية المقدسي : ص48 .
(78) معاني القرآن : للأخفش ، 160/1 .
(79) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : 82/1 .
(80) المفصل في صنعة الاعراب : لأبو القاسم الزمخشري (ت 538ه) ، تحقيق : علم بو ملحم / مكتبة الهلال – بيروت ، 1993م ، س493.
(81) الكفاية في تفسير القرآن بالمأثور والدراية ، عبد الله خضر احمد ، 304/3 .

﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [سورة يوسف : الآية 11] ، بين الادغام والاظهار والاستفهام في اتحاجوننا هو استفهام انكار وتوبيخ والجمهور (اتحاجوننا) بنونين : الاولى للرفع والثانية نون (ن) وقرأ زيد والحسن والاعمش رحمهم الله بالادغام وجوز بعضهم حذف النون الاولى ، والجمهور (قراءتهم واضحة) اما قراءة الادغام فهي لاجتماع مثلين كما سلف ذكره[82]

المبحث الثالث

الحروف

تعد الحروف في العربية قسما أساسيا من أقسام الكلمة إلى جانب الأسماء والأفعال ، والحروف أدوات تؤدي معاني متنوعة لا يظهر المقصود منها إلا بارتباطها بغيريها من الكلمات وقد أولى النحاة واللغويون الحروف عناية كبيرة لما لها من اثرٍ بالغٍ في بناء التراكيب و توجيه الدلالات إذ تسهم في الربط بين أجزاء الكلام و تحديد العلاقات النحوية و المعنوية بين المفردات والجمل وتتنوع الحروف في العربية بين حروف الجر والعطف والنصب والجزم والنداء و غيرها ، ولكل نوع وظيفة خاصة تؤثر في المعنى والأسلوب مما جعل دراسة الحروف ميدانا مهما لفهم أسرار العربية ودقة تعبيرها .

قال المفتي : وقرىء (أم يقولون) على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير، غير داخلة تحت الأمر واردة من جهته، تعاني توبيخاً لهم وإنكاراً عليه لا من جهته (ﷺ) على نهج الالتفات كما قيل[83] .

قال تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة : الآية 140] ، في قوله تعالى (أم يقولو ان ابراهيم) قال بعضهم (ام يقولون) على (قل اتحاجوننا) و (ام تقولون) ومن قال (أم يقولون) جملة استفهاماً مستأنفاً كما تقول : انها لإبل (ثم تقول : أم شاءٌ)[84] .

قال ابو جعفر في قراءة ذلك وجهان :

احدهما: ام تقولون بـ (التاء) فمن قرأ كذلك فهو معطوفاً على قوله ، أتحاجوننا في الله .

والوجه منها : أم يقولون بـ (الياء) ، ومن قرأ ذلك فقد وجّه قوله :

(أم يقولون) إلى انه استفهام مستأنف ، كقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [سورة السجدة : الآية 3] . وكما يقال : إنها الإبل ام شاة) وانما جعله استفهاماً مستأنفاً لمجيء خبر مستأنف كما يقال : أتقوم أم يقوم أخوك ؟ فيصير قوله : أم يقوم أخوك ، خبراً مستأنفاً لجملة ليست من الأول استفهاماً مبتدأ ولو كان نسقاً على الاستفهام الأول لكان خبراً عن الأول فقيل : (أتقوم أم تقعد)؟[85] .

---

[82] الموسوعة القرآنية ، خصائص السور : جعفر شرف الدين ، 1420ه ، 228/1 .
[83] حاشية المقدسي : ص417 .
[84] معاني القرآن للأخفش : 159/1-160 .
[85] ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : للطبري ، 122/3-123 .

قال ابن عاشور : ام منقطعة بمعنى (بل) وهي إضراب للإنتقال من غرض إلى غرض وفيها تقدير استفهام، وهو استفهام للتوبيخ والانكار وقرأ الجمهور وأبو بكر عن عاصم ورويس عن يعقوب بياء الغائب وقراه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بتاء الخطاب على ان ام متصلة معادلة لقوله ﴿ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ ﴾ [86] [سورة البقرة : الآية 139] .

وقد زعم بعض أهل العربية ان ذلك إذا قرئ كذلك بـ (الياء) فإن كان الذي بعد (أم) ، جملة تامة ، فهو عطف على الاستفهام الأول لان معنى الكلام : قيل هذين الأمرين كائن ؟ هذا ام هذا ؟ قال ابو جعفر : والصواب من القراءة عندنا في ذلك (ام تقولون) (بالتاء) دون (الياء) عطفاً على قوله : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ ، بمعنى : أي هذين الأمرين تفعلون[87] ؟ .

وقال الزمخشري: وفيمن قرأ بالياء لا تكون إلا منقطعة ، قال ابو حيان رحمه الله تعالى : ويمكن الاتصال مع قراءة الياء، ويكون ذلك من الالتفات، إذا صار فيه خروج من خطاب إلى غيبة ، والضمير لناس مخصوصين .

قال ابو البقاء : ام تقولون يقرأ (بالياء) رداً على قولهم (فسيكفيكهم الله) فجعل هذه الجملة متعلقة بقوله (فسيكفيكهم) وحينئذ لا تكون إلا منقطعة لما عرفت أن من شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام او تسوية مع ان المعنى ليس على ان الانتقال من قوله (فسيكفيكهم) إلى قوله (أم يقولون) حتى يجعله رداً عليه وهو بعيد عنه لفظاً ومعنى .

قال ابو حيان الاحسن في القراءتين أن تكون (ام) منقطعة وكأنه انكر عليهم محاجتهم في الله وسبه انبيائه لليهودية والنصرانية وقد وقع منهم ما انكر عليهم[88] .

قال المفتي : واللام في ليُضيعَ إما متعلقة بالخبر المقدر لمكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بأنَّ المقدرة أي ما كان الله مريداً او متصدياً لأن يضيع .. الخ ، ففي توجيه النفي إلى أدارة الفعل تأكيد ومبالغة ليس توجيه إلى نفسه وأما فريدة للتأكد ناصية للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها[89] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [سورة البقرة : الآية 143] .

قال ابن عطية : فتح لام الجحود لغة غير معروفة ولا مستعملة في القرآن الكريم ، وقرأ ابو السمال بفتح اللام في ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ ومثله ما روى عبد الوارث عن ابي عمرو ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ بفتح لام (فلينظر) قال ابن خالويه : حكى أبو زيد إن من العرب من يفتح كل لام إلا في قولهم (الحمد لله) يردي اللام الجارة للاسم الظاهر الصريح او الياء المتكلم[90] .

---

(86) ينظر : التحرير والتنوير : لأبن اشور ، 747/1 ، وينظر : تفسير القرآن الكريم : محمد صالح العثيمين ، ص210 .
(87) جامع البيان : للطبري ، 123/3 .
(88) اللباب في علوم الكتاب : لأبن عادل الدمشقي ، 532/2 .
(89) حاشية المقدسي : ص452.
(90) ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم (عظيمة) ، 457/2 .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَاكَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ ﴾ وما اشبهه بما ورد في القرآن الكريم وغيره نحو ﴿ وَمَاكَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : الآية 179] و ﴿ مَّاكَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران : الآية 179] ، قولان:

احدهما : قول البصريين هو ان خبر (كان) محذوفٌ ، وهذه اللام تسمى لام الجحود فالفعل بعدها ينصب بإضمار (أن) وجوباً ، فينسبك منها والفعل مصدرٌ منّجر بهذه اللام وتتعلق هذه اللام بذلك الخبر المحذوف والتقدير : وما كان الله مريداً لإضاعة اعمالكم[91] ، ويدل على مذهب البصريين التصريح بالخبر المحذوف في قوله :

سَـــمَوْتَ وَلَـــمْ تَكُـــنْ أَهْـــلاً لِتَسْـــمُو ... وَلَكِـــنْ دَهْرُنـــا دَهْـــرُ انْقِـــلابِ

القول الثاني للكوفيين : وهو أنّ اللام وما بعدها في محل الخبر ، ولا يقدرون شيئاً محذوفاً ، ويزعمون أن النصب في الفعل بعدها بنفسها لا بإضمار(إنْ) وأن اللازم للتأكيد ، وقد رد عليهم ابو البقاء فقال : " وهو بعيد لأن اللام لام الجر" و (أن) بعدها مراده ، فيصبر التقدير على قولهم : وما كان الله إضاعة ايمانكم ، وهذا الرد هنا لازم لهم ، فإنهم لم يقولوا بإضمار " أن بعد اللام كما قدمت نقله منهم ، بل يزعمون النصب بها وانها زائدة للتأكيد[92] .

واعلم أنَّ قولك : (ما كان زيد ليقوم) بـ (لام) الجحود ابلغ من : (ما كان زيد يقوم) .

اما على مذهب البصريين فواضح ذلك مع (لام) الجحود نفي الإرادة للقيام والتهيئة ، ودونها نفي للقيام فقط ، ونفي التهيئة والإدارة للفعل أبلغ من نفي الفعل ، إذ لازم من نفي الفعل نفي إرادته .

واما على مذهب الكوفيين فلأن (اللام) عندهم للتوكيد ، والكلام مع التوكيد أبلغ منه بلا توكيد[93] .

وقرأ الضحاك (ليُضيِّع) بالتشديد ، وذلك أن أضاع وضَّيع بالهمزة او التضعيف للنقل من (ضاع) القاصر ، يقال ضاع الشيء يضيع ، وأضعته أي أهملته فلم احفظهُ[94] .

قال الكشاف : وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه : " ألا الذين ظُلموا منهم " ، على ان ألا للتنبيه ووقف على حُجةٌ ، ثم استأنف منها[95] .

قال تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة : الآية 150] ، يقول القائل : كيف استثنى الذين ظلموا في هذا الوضع؟.

قال الفراء : (لعلهم توهموا ان ما بعد (إلا) يخالف ما قبلها ، فأن كان ما قبل إلا فاعلاً كان الذي بعدها خارجاً من الفعل الذي ذكر ، وإن كان قد نفى عما قبلها الفعل ثبت لما بعد إلا كما تقول : ذهب الناس إلا زيداً ، فزيد خارج من الذهاب ، ولم يذهب الناس إلا زيدٌ ذاهب ، والذهاب مثبت لزيد)[96] .

---

[91] ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي ، ص15702 ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب ، 26/3 .
[92] ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي ، ص15802 ، وينظر : روح المعاني للألوسي ، 406/1 ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب ، 26/3 ، وينظر : البحر المحيط ، 426/1 .
[93] اللباب في الكتاب لأبن عادل ، 26/3 .
[94] الدر المصون : للسمين الحلبي ، 158/2 .
[95] حاشية المقدسي (ت 1028ه) ، ص495 .
[96] معاني القرآن للفراء : 89/1 .

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ ومن ذلك قراءة زيد بن علي رضي الله عنه (ألا الذين ظلموا) بفتح الهمزة خفيفة اللام ، تنبيه ، قال أبو الفتح : وجهه أنَّ الوقوف في هذه القراءة على قوله تعالى : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ ثم استأنف منبهاً فقال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي ﴾ ، كقول مبتدأ فأعرض عنه واقبل علي وقرأ الجمهور : (إلا) بكسر الهمزة جعلوها اداة استثناء متصل[97] .

والجمهور على كسر الهمزة وتشديد اللام في قوله : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ وهو حرف إيجاب[98].

قال ابن الملقن : زعم ابو عبيدة ان (إلا) هنا بمعنى الواو وهو خطأ عند حذاق النحاة ، والقول إنهُ استثناءٌ أبينُ ، أي : لكن الذين ظلموا منهم ، فأنهم يحجون .

ذكر ابن الملقن في بيان هذه المسألة : (أن (إلا) في هذه الآية للاستثناء ، وخطأ من قال انها بمعنى (الواو) وبيان ذلك فيما يلي :

اشتهر عند النحويين إن (إلا) تكون للاستثناء ، وجائز خروجها منه لغيره و (إلا) في قوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ اختلف أهل التفسير فيها ، فمنهم من عدها للاستثناء ، ومنهم من جعلها بمعنى الواو ، وبعظهم جعلها بمعنى بعد .

فأما حجة من عدها للاستثناء ، فلكون الاستثناء يقتضي إخراج الثاني من حكم الأول ، ومعنى الآية يؤول إلى ذلك ، فالذين ظلموا من الناس فتقدر (إلا) في الآية بـ (لكن) عند البصريين ، أي لكنهم يحتجون ، وبـ (بل) عند الكوفيين ، أي بل انهم يحتجون[99] .

وزعم ابو عبيد معمر بن المثنى ان (إلا) في الآية بمعنى الواو وجعل من ذلك قوله :

مـــــا بالمدينـــــة دار غيـــــر واحـــــدة ... دار الخليفـــــة غـــــلا دار مروانـــــا

وقوله :

وكـــــــل اخ مفارقـــــــه اخـــــــوه ... لعمـــــــر ابيـــــــك إلا الفرقـــــــدان

التقدير: عنده والذين ظلموا ، ودار مروان ، والفرقدان ، واثبات إلا بمعنى الواو لا يقوم عليه دليل ، والاستثناء سائغ فيما ادعى فيه أن إلا بمعنى الواو ، وكان ابو عبيدة يضعف في النحو ، وقال الزجاج : هذا خطأ عند حذاق النحويين ، واضعف من هذا من زعم أنه بمعنى بعد ، أي بعد الذين ظلموا[100] .قال ابو البقاء في قوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ

---

[97] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القرات : لأبن جني ، 202/1 .
[98] الكتاب الفريد في اعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني ، 412/1 .
[99] المسائل التحوية في كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح : لأبن الملقن ، داود بن سليمان الهويمل ، ص151.
[100] الاعراب المحيط في تفسير البحر المحيط : لياسين جاسم محيميد ، 327/1 ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : لأبن عادل ، 68/3 .

ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ هو استثناء منقطع بمعنى (لكن) والمعنى : لكن الذين ظلموا يحتجون عليكم بغير حجة ، وهكذا في جميع ما ذكروه ، وامثاله ، واما وقوعها بمعنى (مع) فغير مسلم[101] .

قال الكشاف : " وقرى (حَرّمَ) على البناء للفاعل ، وحرم على البناء للمفعول " [102].

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : الآية 173] .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ ﴾ على البناء للمفعول ، و (ما) على هذه القراءة موصولة وعائدها مستكن في (حُرِّمَ) و (الميتةُ) وما بعدها خبر إن ويحتمل أن تكون (ما) كافة أيضاً و (الميتةُ) ، المفعول القائم مقام الفاعل وهو اختيار أبي اسحاق ، قال : والذي اختارُهُ ان تكون (ما) تمنع (إن) من العمل ، فيكون المعنى : ما حُرِّمَ عليكم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير ، لأن (إنما تأتي إثباتاً لما يُذكرُ بعدها ، ونفياً لما سواه ، انتهى كلامه[103] .

نقل ابو علي أن الزجاج اختار أن تكون (ما) كافة و (حرم) مسند إلى (الميتة) لكنا نقول جعلها موصولة اسم (إن) و(الميتة) خبرها أولى لتبقى (إن) عاملة على ما هو الأصل ومنها (إن) للاثبات و (ما) للنفي فلا بد أن يحصل القصر للجمع بين النفي والاثبات تعقب بأن (ما) زائدة كافة لا نافية ومنها (إن) للتأكيد و (ما) كذلك فاجتمع تأكيدان فاذا اقتصر قاله السكاكي ، وتعقب بأنه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد الحصر لأفادة نحو إن زيداً لقائم وأُجيب بأن مراده لا يجتمع حرفاً تأكيد متواليان إلا الحصر[104] .

الخاتمة

بعد رحلة في رحاب التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في ضوء حاشية الإمام محمد رضي المقدسي، يمكن إجمال أبرز النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة:

- ❖ أثبتت الدراسة عمق التلاحم بين الصناعة النحوية والدلالة القرآنية، فالخلاف الإعرابي وتعدد الأوجه في الحواشي التفسيرية لم يكن ضرباً من التكلف النحوي، وإنما كان معياراً دقيقاً لتوسيع الأفق الدلالي لآيات الذكر الحكيم.
- ❖ كُشف في الأسماء عن أثر التعريف والتنكير والتثنية والجمع في توجيه المعنى وسياق الآيات، كما اتضح في توجيه لفظتي (مثابة/مثابات) و(مسلمين/مسلمين)، حيث أظهرت حاشية المقدسي كيف ينقل اعراب النص من دلالة تشريعية خاصة إلى أفق عام يشمل الأهل والأتباع.

---

[101] التبيين في مذاهب النحويين البصريين والكوفيين : لأبي البقاء العكبري ، ص502 .
[102] حاشية المقدسي ، ص610 .
[103] ينظر : الفريد في اعراب القرآن المجيد : للمنتجب الهمذاني ، 433/1 .
[104] الزيادة والاحسان فـي علوم القرآن لمحمد شمس الدين بعقيلة ، 21/6 .

- ❖ بيَّن الاستقراء في مبحث الأفعال مدى مرونة التركيب العربي في تقبل البناء اللغوي للقراءات (بين الأمر والماضي، والتخفيف والتشديد)، معتمدين على شواهد فصحى من لغات العرب القديمة، كما برز في توجيه أفعال مثل (اتخذوا) و(أرنا).
- ❖ ظهرت القيمة الوظيفية للحروف وأدوات المعاني بوصفها روابط تركيبية تُحدد مسار التفسير، ولا سيما الجدل النحوي العريق بين المدرستين البصرية والكوفية حول "لام الجحود" و"أم المنقطعة والمتصلة"، مما يعكس نضج الفكر الإعرابي في الحواشي.
- ❖ تميز منهج المقدسي بالإنصاف العلمي، حيث اعتمد على القراءات المتواترة كأصل حاكم، ولم يهمل القراءات الشاذة بل وجَّهها عربياً ونحوياً للكشف عن الوجوه اللغوية المهجورة، محتفظاً باحترام الأثر المروي وسياق رسم المصحف.

وختاماً، فهذا جهد المقل، فإن يكن من توفيق فمن الله وحده، وإن يكن غير ذلك فمن خطأ النوازع البشرية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي.
2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي.
3. إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس (ت 338هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
4. إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش.
5. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني.
6. البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي.
7. تاج العروس، للزبيدي.
8. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.
9. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور.
10. تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، لأبي الحجاج يوسف الشمنتري، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1415هـ-1994م.
11. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري.
12. التبيين في مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البقاء العكبري.
13. التذييل والتكميل في شرح التسهيل، لأبي حيان الأندلسي.
14. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوَهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق.
15. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، دار ابن الجوزي، السعودية.
16. تفسير القرآن الكريم، لمحمد أحمد إسماعيل المقدم.
17. تفسير القرآن الكريم، لمحمد صالح العثيمين.

18. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين الهرري الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت.
19. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.
20. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري.
21. الحجة في القراءات السبعة، للحسين بن أحمد بن خالويه.
22. حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، 1417هـ.
23. حاشية محمد رضي الدين المقدسي (ت 1028هـ) على تفسير الكشاف والبيضاوي وأبي السعود، تحقيق ودراسة: عبد الرحمن فيصل عباس الصالحي.
24. الخزانة، لعبد القادر البغدادي.
25. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، دار القلم، دمشق.
26. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لعبد الخالق عظيمة.
27. ديوان جرير.
28. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الآلوسي.
29. سيرة ابن هشام، لعبد الملك بن هشام.
30. شرح أبيات مغني اللبيب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، بيروت.
31. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري.
32. طبقات القراء السبعة، لابن الجزري.
33. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف.)
34. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة المنورة.
35. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت.
36. الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، لعبد الله خضر حمد، دار القلم، بيروت.
37. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م.
38. لسان العرب، لابن منظور.
39. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

40. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
41. المسائل النحوية في كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لداود بن سليمان الهويمل.
42. معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4.
43. معاني القرآن، للأخفش.
44. معاني القرآن، للفراء.
45. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م.
46. المفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، 1993م.
47. الموسوعة القرآنية، لابن الأبياري، مؤسسة سجل العرب.
48. الموسوعة القرآنية: خصائص السور، لجعفر شرف الدين، 1420هـ.
49. النحو المصفى، لمحمد عيد، ط1، 1971م.
الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لمحمد شمس الدين بعقيلة